

الحرس الثوري يستعد لحكم إيران.. لكن هل يقدر على ذلك

الإصلاحيون فشلوا في تعزيز قوة المؤسسات المنتخبة لمواجهة نفوذ الدولة الموازية



فشل ثورة 1979 يقود إيران إلى المزيد من التشدد، وسط توقعات بأن يتنازل رجال الدين الذين يرتدون العمامات عن السلطة والنفوذ لفائدة الحرس الثوري الذي يستمر بترديد الشعارات القديمة وإظهار نفسه وريثاً شرعياً للخميني، ما يؤهله لأن يكون على رأس السلطة، لكن بأي قدرات وأي فرص للنجاح؟

طهران - يتعمد نفوذ الحرس الثوري في كل القطاعات والمؤسسات، ويجسد البرلمان الإيراني أحدث دليل يدعم صحة هذا النفوذ، إذ كان رئيسه، محمد باقر قاليباف، لواء سابقاً في الحرس الثوري. بينما يعتبر ثلثاً أعضاء البرلمان إما أعضاء سابقين أو منتمين إلى الحرس الثوري الإيراني والمنظمات التابعة له إلى اليوم.

وطالما توقع الكثيرون في إيران والولايات المتحدة استيلاء الحرس الثوري على الحكومة الإيرانية، وتتمثل الخطوة التالية في انتخاب مرشح تابع للحرس الثوري الإيراني رئيساً سنة 2021.

وتبقى الصلاحيات في السلطة منقسمة، إذ تدير المؤسسات المنتخبة شؤون الدولة في ظل مكتب المرشد الأعلى الأكثر قوة، والذي تخضع له المنظمات الأمنية، بما في ذلك الحرس الثوري. ولاكثر من عقدين، حاول الإصلاحيون داخل المؤسسة السياسية الإيرانية تعزيز قوة المؤسسات المنتخبة لتواجه نفوذ سلطة الدولة الموازية. أما الآن فقد تقبلوا فشل هذا المشروع وهم يستعدون لغزو قيادة الدولة الموازية للهيئات المنتخبة لتعزيز سلطتهم.

ليس حقاً أن إيران ستشهد حكومة يديرها الجيش قريباً نتيجة مفروضة، ولكنها تبدو الأكثر احتمالاً. فالإيرانيون محبطون من التورات الحزبية والأزمات المتفاقمة بعد أن استنزفت العقوبات الأميركية شريان الحياة الاقتصادية للبلاد التي انخفض مستوى القدرة الشرائية فيها إلى ثلثي ما كان عليه قبل عقد، مع تنامي هوس الجمهور بالثروة. كما يمهّد الكبرياء والاستياء من عدم تنوؤ الإيرانيين الكنانة الدولية التي يستحقونها إلى ظهور شكل جديد من أشكال القومية.

في ظل العقوبات الأميركية، عمل الحرس الثوري على توسيع الاقتصاد السري بمساعدة نخبة فاسدة جديدة من رجال الأعمال المهرجين

ويبدو الرئيس حسن روحاني، غير القادر على الوفاء بالوعود التي تعهد بها في مجال السياسة الداخلية أو الخارجية، مستسلماً كما توجي بذلك إدارته للبلاد في مواجهة الوباء. فقد تردّد في الاعتراف بأن فيروس كورونا المستجد يمثل تهديداً وطنياً حتى فات الأوان، وأدت رسائله المتناقضة إلى إرباك الجمهور وتعرض لانتقادات من المرشد الأعلى نفسه. ومن جهة أخرى، تردّد قبضة الحرس الثوري الإيراني قوة، لكن كفاءته قد تمنعه من أن يصبح وصياً على الدولة.

ميكافيلية الحرس

لقد أصبح الحرس الثوري الإيراني محور الاهتمام وطنياً ودولياً منذ أواخر التسعينات، عندما أسس الإصلاحيون السياسيون بمقاييد الحكومة الإيرانية المنتخبة. وأصبحت وسائل الإعلام الإصلاحية تراقب الحرس الثوري الإيراني وتنتقد أفعاله. وكان رد الحرس هو بعث منظومة إعلامية خاصة به تتولى نشر صورة مبالغ فيها عنه كونه ممثلاً لخط الثورة، والوحيد القادر على مواجهة الأعداء في الداخل والخارج. لقد أصبح الحرس الثوري يصوّر نفسه على أنه علاج لمعاناة الناس في البلاد، لكنه كان في الحقيقة جزءاً من المشكلة، إذ أنه شكّل عائقاً أمام مساعي

الدولة لتحقيق التنمية المستدامة. ففي ظل العقوبات الأميركية، عمل الحرس الثوري على توسيع الاقتصاد السري بمساعدة نخبة فاسدة جديدة من "رجال الأعمال المهرجين". وكان يمنع الحكومة من انتداب الخبراء الذين يعتبرهم غير مناسبين سياسياً، كما كان يدفع السياسات والمشاريع الحكومية إلى الانحراف عن مسارها ويؤججها لرغباته في نفس الوقت الذي يحمل فيه السياسيين والبيروقراطيين المسؤولية. وقد اعتاد الحرس الثوري الإيراني على تشويه سمعة خصومه، مثل أعضاء حكومة روحاني، الذين كان يصفهم بـ"المواطنين" و"معمدي الكفاءة" و"الموالين للغرب". وهو يلقي باللوم، حالياً، في علاقة بالمصاعب التي تواجهها البلاد، على كل الفصائل السياسية بما في ذلك التيار المتشدد.

ودأب الحرس الإيراني طوال العقد الماضي، على الترويج لتاريخ محرّف من خلال الأفلام الوثائقية والأفلام الروائية والمسلسلات التلفزيونية المصممة لاستمالة جماهير الشباب الذين لم يعيشوا أحداث ثورة 1979 وما بعدها. وتقدم هذه الإنتاجات رواية تظهر اهتمام الحرس الثوري بالشعب ونضاله من أجل الوطن بينما كانت النخب السياسية تتصارع وتعمل ضد مصالح الأمة لتحقيق مكاسب شخصية أو حزبية.

وفي المسائل العالقة، يصوّر الحرس الثوري نفسه على أنه الحامي الوحيد الموثوق لإيران، والقوة التي هزمت داعش، ومنعت الأجانب و"عمليات الخربين" من الإضرار بالبلاد.

كما يفخر بقدراته التكنولوجية، ففي حين فشلت حكومة روحاني أربع مرات في إطلاق قمر صناعي صغير لتصوير الأرض، نجح هو في وضع قمر صناعي عسكري في مداره منذ المحاولة الأولى.

ويروج قادة الحرس الثوري لدوره كمنقذ للبلاد حتى في الأعمال الخيرية. فخلال الجائحة، زعم أنه وزع مساعدات غذائية على 3.5 مليون أسرة إيرانية كانت في أمس الحاجة إليها، وأن "معسكراته الجهادية" تتخبط في أنشطة مساعدة المحرومين. لكن منظمات المجتمع المدني المستقلة تشكك في مدى تأثير هذه التدخلات ولكنها لا تمتلك أزرعاً إعلامية فعالة مثل تلك التي لدى الحرس الثوري.

غير أن هذا القناع الإنساني لا يحسن صورة الحرس الثوري الإيراني كقناع عنيف. إذ لا يزال المواطنون الليبراليون المنتهون إلى الطبقة الوسطى في طهران يتذكرون استعراضه للقوة خلال احتجاجات الحركة الخضراء سنة 2009، وكان لحملته الأثر السيء على المظاهرات التي اندلعت في 2019 وما أنجز عنها من عواقب وخيمة على الإيرانيين الفقراء والمنتمين إلى الطبقة الدنيا في أماكن أخرى. وهكذا، يبدو الحرس الثوري وكأنه يرغب في إثارة الخوف وكسب الحب في نفس الوقت، فبسلام ميكافيلي يوظف المكر والأزواجية.

سعى الحرس الثوري إلى جعل النخب الاقتصادية والثقافية تتأقلم مع وجوده وترتاح له. وربما يكون في الحديث عن دوره الاقتصادي شيء من المبالغة، لكن الضبابية التي تلف قطاع الأعمال في البلاد تجعل من الصعب التأكد من الحقائق. فحسب دراسة حديثة، لم يكن الحرس الثوري أو غيره من المنظمات شبه الحكومية حتى 2014 يمتلك الأغلبية في أي من القطاعات الاقتصادية الأولى الـ22 في إيران.

وتختار الشركات التي تمتلكها البرجوازية العلمانية الإيرانية أحياناً تجنيد أعضاء مجالس إدارات ومديرين تابعين للحرس الثوري من أجل تسهيل أعمالها. كما يعمد الحرس الثوري أحياناً إلى إنشاء شركات بالوكالة للعمل تحت ستار القطاع الخاص. وبهذه الوسائل وغيرها، أصبح الحرس الثوري الإيراني طرفاً لا غنى عنه وأحد أكبر الموالين العاملين في قطاع البناء في البلد. بيد أنه لا يمتلك الموارد البشرية والخبرة اللازمة لإدارة أعمال ملاين الدولارات في مجالات الاتصالات والبنوك وبناء السفن

والصناعات البتروكيماوية. وهنا، يعمل قسم كبير من البرجوازية العلمانية الإيرانية إما مباشرة أو كعقولين فرعيين للتنظيم العسكري. قبل عقد واحد، اعتبرت النخب الثقافية العمل في المشاريع التي أطلقها الحرس الثوري أو مولها أمراً مرفوضاً، أمّا الآن، فقد تغيرت الأوضاع، فعلى سبيل المثال، عمل مسعود كيميائي، وهو مخرج سينمائي شهير لاقى أفلامه شهرة واسعة قبل الثورة، مع منتج تابع للحرس الثوري الإيراني مؤخراً. وأنتج المخرج محمد حسين مهديان، وهو من أشد المؤيدين لروحاني، أفلاماً وثائقية حائزة على جوائز وأفلام روائية يدعمها الحرس الثوري الإيراني.

احترام بعيد المنال

يتمتع الحرس الثوري الإيراني بالعبء من المؤهلات التي تخول له التنافس على السلطة في البلاد، لكن هزيمته ممكنة. فعلى الرغم من الحصانة الاقتصادية الكبيرة التي يمتلكها الحرس الآن، لا يزال الفرع التنفيذي يحكم الاقتصاد في جميع المجالات الحيوية. وتضع الحكومة السياسية المالية والنقدية، وتتحكم في موارد النفط والغاز، وتدير خزينة الدولة. كما تهيمن الحكومة على الرعاية الاجتماعية والمساعدات الإنسانية، التي يزداد اعتماد الحرس الثوري عليها لبناء شبكات المحسوبية الخاصة به.

بالإضافة إلى ذلك، يبقى الحرس الثوري داخلياً أكثر انقساماً وأقل انضباطاً مما يبدو. وكانت التوترات حاضرة منذ البداية، عندما نشأت النزاعات بين القادة رفيعي المستوى خلال الحرب الإيرانية العراقية. وأصبح الضباط المحبطون الذين تركوا الحرس الثوري الإيراني خلال ثمانينات القرن الماضي دعاة بارزين للإصلاح السياسي. كما ترك البعض الفيلق أثناء خلافات داخلية في أوائل تسعينات القرن العشرين. وغادر آخرون في أوائل القرن الحادي والعشرين.

واليوم، يعرف الخبراء الصراعات بين الأجيال داخل الحرس الثوري، كما يعرفون الخلافات التي تشق الجيل الجديد داخله. وتنعكس هذه الخلافات عبر وسائل الإعلام التابعة له.

عندما يتعلق الأمر بإقناع الجمهور، فإن لا قبضة الحرس الثوري الوحشية ولا مد يد المساعدة جلياً له الاحترام الذي يريده. لقد خلق اغتيال الولايات المتحدة للواء قاسم سليمان في

إيران نحو المزيد من التشدد

الولايات السياسية المتذبذبة) قوات الأمن أو لم تتدخل لوقف انتهاكاتهما. وتفكر الإدارة الآن إلى المصادفة اللازمة لتعبئة قاعدتها الاجتماعية ضد الحرس الثوري في صناديق الاقتراع أو في الشارع.

القناع الإنساني بمحاولة استمالة الطبقات الضعيفة من خلال المساعدات لا يحسن صورة الحرس الثوري كقناع عنيف

ومع ذلك، يبقى ما إذا كان الحرس الثوري الإيراني يرغب في إدارة الحكومة حقاً هو سؤال أكثر تعقيداً. فالموارد السياسية والاقتصادية التي تحتفظ بها الحكومة مغرية. لكن التجربة أظهرت أن كورونا المستجد عن بُعد مسافة قدرها 328 قدماً وخلق هذا موجة عفوية من السخرية اجتاحت منصات وسائل الإعلام. ووصفت جمعية الفيزياء الإيرانية، وهي جمعية علمية محافظة لم تصدر أي بيان سياسي من قبل، هذا الادعاء بأنه "خيال علمي".

ضعف الخصوم

تتمتع قوة الحرس الثوري السياسية الأكبر في ضعف خصومه. فقد فاز روحاني بالانتخابات في 2013 و2017 بعد أن وعد بإعادة الأمل للشعب الإيراني. ولكن فترة ولايته تقرب من نهايتها وسط ياس واسع النطاق. فقد اندلعت احتجاجات سنتي 2018 و2019، سحقها الحرس الثوري بينما ساعدت حكومة روحاني (التي تعدّ ائتلافاً من المحافظين والمعتدلين والبيروقراطيين والإصلاحيين غير الفاعلين والتكنوقراط من أصحاب



الحرس الثوري.. كيان مواز في إيران